1 – منزلة العلماء (1)

من خصال العلماء في القرآن

1416/6/17هـ

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتعينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ...

فَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ النَّاسَ يَتفاضَلوَن فِي المَالِ وَالمَنْصِبِ وَالجَاهِ، وهَذَا مِنْ حِكمةِ اللهِ تَعالى فِيهم، كَمَا قَالَ: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً} [**سورة الزخرف: 32**]، قِيلَ فِي تَفْسيرِها: أَيْ فَاضَلْنَا بينَهم، فَمِنْ فَاضِلٍ وَمفْضُول، ورَئيسٍ ومَرْءوسٍ. وَقِيلَ: بالحُرِّيَّةِ وَالرِّقِّ، فَبَعْضُهُمْ مَالِكٌ وَبَعْضُهُمْ مَمْلُوكٌ. وَقِيلَ: بِالغِنَى وَالفَقْرِ، فَبعضُهُمْ غَنِيٌّ وبعضُهُم فَقيرٌ. إِلَى غَيرِ ذَلكَ مِنَ الأقْوالِ.

واختلافُ طَبَقَاتِ النَّاسِ فِي هذِهِ المَراتِبِ لاَ يَشْفَعُ لأَهلِ الرِّفعةِ مِنهم أَنْ يَكُونُوا أفضَلَ مِمَّنْ سِوَاهُم؛ لأنَّ تِلكَ الرِّفعةَ رِفْعَةٌ وَقتيَّـةٌ دُنيويةٌ تَزولُ بِزَوالِها، وَفِي الغَالِبِ أَنَّ نَفعَها يَكونُ مَقْصُوراً عَلى صَاحِبِها ومَنْ يَعُولُ.

أمَّا الرِّفعةُ الحَقيقيةُ التِي تَبْقَى مَعَ صَاحِبِها فِي الدُّنيا وَالبَرْزَخِ والآخِرةِ فَهِي الرِّفعةُ بِالعِلْمِ، كَما قَالَ تَعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } **[سورة المجادلة: 11]**، قالَ ابنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنه: (مَدَحَ اللهُ العُلماءَ فِي هَذِهِ الآيةِ). وقَالَ الإِمامُ القُرْطبيُّ: (والمَعْنَى: أَنَّهُ يَرْفَعُ اللهُ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ عَلى الذِينَ آمَنُوا ولَم يُؤْتَوا العِلْمَ).

وَقالَ الإِمَامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى: (إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجلَّ وتَقَدَّسَتْ أَسمَاؤُه- اخْتَصَّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَحَبَّ، فَهداهُم للإِيمان، ثُمَّ اخْتصَّ مِنْ سائِرِ المُؤمنينَ مَنْ أَحَبَّ، فَتفضَّلَ عَليهم فَعلَّمَهُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وَفقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وعَلَّمَهُم التَّأويلَ، وفَضَّلَهُم على سَائِرِ المُؤْمِنينَ، وذلكَ فِي كُلِّ زَمانٍ وَأَوانٍ، رَفَعَهُم بِالعِلْمِ، وَزَيَّنَهُم بِالحِلْمِ، بِهم يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرامِ، وَالحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، وَالضَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَالحَسَنُ مِنَ القَبيحِ، فَضْلُهُم عَظِيمٌ، وَخَطرُهُم جَزيلٌ، وَرَثةُ الأنبياءِ، الحِيْتانُ فِي البِحارِ لَهم تَسْتَغْفِرُ، وَالملائكةُ بأجنِحتِها لَهم تَخْضَعُ، مَجالسُهُمْ تُفيدُ الحِكْمَةَ، وبِأَعْمَالِهِم يَنْزَجِرُ أَهْلُ الغَفْلَةِ.

هُمْ أَفْضَلُ مِنَ العُبَّادِ، وأَعْلَى دَرجةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَياتُهُم غَنيمةٌ، ومَوتُهُم مُصيبةٌ، يُذَكِّرونَ الغَافِلَ، ويُعلِّمونَ الجَاهِلَ، لاَ يُتَوَقَّعُ لَهُم بَائقةٌ، ولاَ يُخافُ مِنهم غَائِلةٌ. بِحُسْنِ تَأديبِهم يَتنازعُ المُطيعونَ، وبجميلِ

مَوْعِظَتِهِم يَرْجِعُ المُقَصِّرونَ، جَميعُ الخَلْقِ إلى عِلْمِهِم مُحْتاجٌ، والصَّحيحُ عَلى مَن خالَفَ بِقَوْلِهِم مِحْجَاجٌ.

مَنْ أَطاعَهُم رَشَدَ، ومَنْ عَصَاهُم عَنَد، مَا أَشْكَلَ عَلى قُضاةِ المُسلمينَ مِنْ حُكْمٍ فَبِقَوْلِ العُلماءِ يَحْكُمُونَ، وَعليهِ يُعوِّلونَ، فَهُمْ سِراجُ العِبادِ، وَمَنارُ البِلادِ، وقِوامُ الأُمَّةِ، ويَنابيعُ الحِكْمَةِ، هُم غَيظُ الشَّيْطانِ، بِهِم تَحيا قُلوبُ أَهْلِ الحَقِّ، وتَموتُ قُلوبُ أَهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُم في الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجومِ في السَّمَاءِ، يُهتدى بِها فِي ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ، إِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ تَحيَّرُوا، وَإِذا أَسْفَرَ عَنها الظَّلامُ أَبصَرُوا ...) إلى آخِرِ مَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَعَقَدَ الإِمامُ القَزْوِينيُّ فِي كِتَابِهِ: (مُفيدُ العُلومِ) بَاباً سَمَّاهُ: (فِي حُقوقِ العُلَماءِ) قَالَ فِي أَوَّلِهِ: (اعلَمْ أَنَّ دَرَجَةَ العُلماءِ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ... وَكَرامتُهُم عَظيمةٌ، ولُحومُهُم مَسمومةٌ، مَنْ شَمَّها مَرِضَ، ومَنْ أَكَلَهَا سَقِمَ، وأُوصيكُم مَعْشَرَ النَّاسِ والمُلوكِ بِالعُلماءِ خَيراً، فَمَنْ عَظَّمَهُم فَقَدْ عَظَّمَ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى وَرَسُولَهُ، وَمَنْ أَهانَهُم فَقد أَهانَ اللهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ وَرَثَةُ الأَنبياءِ وصَفوةُ الأَوْلِياءِ، شَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } **[سورة إبراهيم: 24]** {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}...) **[سورة الجمعة: 4]** اهـ.

وقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتابِ (الاعْتِصَامِ): (فَسَائِرُ الخَلْقِ حَرِيُّونَ بِأَنْ تَكونَ الشَّريعةُ حُجَّةً حَاكِمَةً عَلَيهِم، وَمَناراً يَهْتَدُونَ بِها إلى الحَقِّ، وشَرفُهُمْ إِنَّما يَثْبُتُ بِحَسَبِ مَا اتَّصَفُوا بِه مِنَ الدُّخولِ تَحتَ أَحْكَامِها، وَالعملِ بِها قَولاً وَاعتقَاداً وَعَمَلاً، لاَ بِحسبِ عُقولِهِم فَقط، وَلاَ بِحسبِ شَرَفِهِم فِي قَومِهِم فَقط؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَثْبَتَ الشَّرَفَ بِالتَّقْوى لاَ غَيْرِها، لِقَوْلِهِ: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} **[سورة الحجرات: 13]**، فَمَنْ كَانَ أَشَدَّ مُحَافَظَةً عَلى اتِّباعِ الشَّرِيعةِ فَهو أَولَى بِالشَّرَفِ وَالكَرَمِ، ومَنْ كَانَ دُونَ ذلكَ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَبْلغَ فِي الشَّرَفِ مَبلغَ الأَعْلى فِي اتِّباعِها.

فَالشَّرَفُ إِذاً: إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ المُبَالغةِ فِي تَحْكِيمِ الشَّريعةِ).

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَيْضاً: (إِنَّ اللهَ سُبحانَهُ شَرَّفَ أَهْلَ العِلْمِ، وَرَفَعَ أَقْدَارَهُمْ، وَعَظَّمَ مِقْدَارَهُم، وَدَلَّ عَلى ذَلِكَ الكِتَابُ والسُّنَّةُ والإِجْمَاعُ، بَلْ قَدِ اتَّفَقَ العُقَلاءُ عَلى فَضيلةِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُم المُسْتَحِقُّونَ شَرَفَ المَنازِلِ، وهُو مِمَّا لاَ يُنازِعُ فِيه عاقِلٌ، وَاتفقَ أَهْلُ الشَّرائِعِ عَلى أَنَّ عُلومَ الشَّريعةِ أَفْضَلُ العُلومِ وَأَعظَمُها أَجْراً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيامَةِ.

إِذَا ثَبَتَ هَذا فَأَهْلُ العِلْمِ أَشْرَفُ النَّاسِ، وَأَعْظَمُ مَنزلةً بِلاَ إِشْكَالٍ وَلاَ نِزَاعٍ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الثَّنَاءُ فِي الشَّريعةِ عَلى أَهْلِ العِلْمِ مِنْ حَيْثُ اتصَافِهِم بِالعِلْمِ لاَ مِن جِهَةٍ أُخْرَى، وَدَلَّ عَلى ذَلِكَ وُقُوعُ الثَّناءِ

عَليهم مُقيَّداً بِالاتِّصافِ بِهِ، فَهُو إِذاً العِلَّةُ فِي الثَّناءِ، وَلَولاَ ذلكَ الاتِّصافُ لَم يَكُنْ لَهُم مَزِيَّةٌ عَلى غَيْرِهِم، ومِنْ ذَلكَ صَارَ العُلماءُ حُكَّاماً عَلى الخَلائِقِ أَجْمَعِينَ، قَضاءً أَوْ فُتيَا أَوْ إِرشَاداً؛ لأَنَّهُمُ اتَّصَفُوا بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الذِي هُو حَاكِمٌ بِإِطْلاقٍ.

فَلَيْسُوا بِحُكَّامٍ مِن جِهةِ مَا اتَّصفُوا بِوصفٍ يَشْتَرِكُونَ فِيه مَعَ غَيرِهِم بِالقُدْرَةِ وَالإِرادةِ وَالعَقْلِ وَغَيرِ ذلكَ، إِذْ لاَ مِزيَّةَ فِي ذلكَ مِنْ حَيثُ القَدْرِ المُشْتَرَكِ؛ لاشتِراكِ الجَميعِ فِيها، وَإِنَّمَا صَارُوا حُكَّاماً عَلى الخَلْقِ مَرجُوعاً إِليهم؛ بِسببِ حَمْلِهِمْ لِلعِلْمِ الحَاكِمِ) انتَهَى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

- قَال بعضُ العُلماءِ: (مِنْ شَرَفِ العِلْمِ وَفَضلِهِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ نُسِبَ إِليهِ فَرِحَ بِذلكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُن مِنْ أَهْلِهِ، وَكُلُّ مَنْ دُفِعَ عَنهُ وَنُسِبَ إِلى الجَهْلِ عَزَّ عَليه، وَنَالَ ذَلكَ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِن كَانَ جَاهِلاً).

وقَالَ بَعضُ الحُكَمَاءِ: (مِنَ الدَّلِيلِ عَلى فَضِيلةِ العُلَماءِ: أَنَّ النَّاسَ تُحِبُّ طَاعَتَهم).

- وَفِي فَضْلِ العِلْمِ وَأَهْلِه يَقُولُ الشَّيخُ عبدُالرحمنِ بنُ نَاصِرِ السَّعديّ رَحمهُ اللهُ تَعَالَى: (لَولا العِلْمُ لَكانَ النَّاسُ كَالبَهَائِمِ فِي ظُلُماتِ الجَهَالةِ، وَلَولاَ العِلمُ لَمَا عُرِفَتِ المَقاصِدُ والوَسَائِلُ، وَلَولا العِلمُ ما عُرِفتِ البَراهينُ عَلى المَطالِب كُلِّها وَلاَ الدَّلائِلِ. العِلمُ هُو النُّورُ فِي الظُّلُماتِ، وهُو الدَّليلُ فِي المَتاهَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وهُو المُمَيِّزُ بينَ الحَقَائِقِ، وهُو الهَادِي لأَكْمَلِ الطَّرائِقِ، بِالعِلمِ يَرفعُ اللهُ العَبْدَ دَرجاتٍ، وَبِالجَهْلِ يَهوي إِلى أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ) انتَهى كَلامُه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَبِكُلِّ حَال: فَمَنْزِلَةُ العُلَماءِ مِنْ أَسْمَى المَنازِلِ وَأَعلاَها، وشَواهدُ ذلكَ فِي الكِتَابِ والسُّنةِ كَثيرةٌ جِدّاً، وَسَأذكرُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- شَيئاً مِنْ خِصَالِ العُلماءِ التي شَرَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِها، وَاخْتُصُّوا بِها دُونَ غَيْرِهِم مِنَ النَّاسِ؛ لِشَرَفِ المَنْزِلةِ التِّي تَبَوَّؤُوها، وَالمَكانةِ التِي تَصدَّرُوها، فَمِنْ خِصَالِهِم التي جَاءَ ذِكْرُها فِي القُرآنِ:

أَنَّهُم أَشدُّ الناسِ وأَكثرُهُمْ خَشْيةً للهِ تَعَالَى، كَما قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} **[سورة فاطر: 28]**، قَالَ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (أَيْ: إِنَّمَا يَخشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ العُلَماءُ العَارِفونَ بِه؛ لأَنَّهُ كُلَّمَا كانتِ المَعْرَفةُ لِلعظيمِ القَديرِ العَليمِ المَوصوفِ بِصِفاتِ الكَمَالِ المَنْعُوتِ بِالأَسْماءِ الحُسْنَى، وكُلَّما كانتِ المَعْرِفةُ بِه أَتَمَّ، وَالعِلْمُ بِهِ أَكملَ؛ كانت الخَشْيةُ لَه أَعظمَ وَأَكْثَرَ).

- وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّهُم مِنْ خَيرِ البَريَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ كانَ خَاشِياً للهِ؛ كانَ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِوَصْفِ الخَيْرِيَّةِ، قَالَ ابنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (فَاقتضتِ الآيَتَان: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} وَقَولُهُ تَعَالَى: {أُوْلَـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } **[سورة البينة: 7]** أَنَّ العُلماءَ هُمُ الدِّينَ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَى، وَأَنَّ الذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَى هُم خَيرُ البريَّةِ، فَينتُجُ أَنَّ العُلماءَ هُم خَيرُ البَريَّةِ).

- وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّ مَنزِلَتَهم مِنْ أَرفَعِ المَنازِلِ وَأَزكَاها، كَما قَالَ تَعَالَى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} **[سورة المجادلة: 11]**.

- وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّهم المَرجِعُ عِنْدَ السُّؤالِ وَالمُعضِلاتِ، كَما قَال تَعَالَى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [سورة الأنبياء: 7].

قالَ الشيخُ ابنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وعُمومُ هَذِهِ الآيةِ فِيها مَدْحٌ لأَهْلِ العِلْمِ، وَأَنَّ أَعْلَى أَنواعِه: العِلْمُ بِكتابِ اللهِ المُنَزَّل، فَإِنَّ اللهَ أمرَ مَنْ لاَ يَعلَمُ بِالرُّجُوعِ إِليهِم فِي جَميعِ الحَوادِثِ، وَفِي ضِمْنِهِ تَعْدِيلٌ لأَهْلِ العِلْمِ وتَزكِيَةٌ لَهُم، حيثُ أَمَرَ بِسُؤالِهِم، وَأَنَّهُ بِذلكَ يَخرجُ الجَاهِلُ مِنَ التَّبِعَةِ).

وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّهم أَعْرَفُ النَّاسِ بِالخَيْرِ وَمَفَاتِحِهِ، وَبالشَّرِّ ومَغَالِقِه، كَما قَالَ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ } [سورة النحل: 27]، وقالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً} [سورة القصص: 80].

اللهمَّ وَفِّقْنَا إِلى صَالِحِ الأعمالِ والأَقْوالِ، وَاكْفِنَا شَرَّ النَّفْسِ والهَوى وَالشَّيْطَانِ....

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الذِي شَرَّفَ أَهْلَ العِلْمِ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُمْ وَأَعلَى مكانَتَهُمْ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ:

عَوْداً عَلى بَدْءٍ يُقَالُ أَيْضاً:

- مِنْ خِصَال أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ اللهَ خَصَّ شَهادَتَهُم دُونَ غَيرِهِم مِنَ البَشَرِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سورة آل عمران: 18].

قَالَ الإِمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (استشهَدَ سُبحانَهُ بِأُولي العِلمِ عَلى أَجَلِّ مَشهودٍ عَليهِ، وهُو تَوحيدُهُ، فَقالَ: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ } وهذا يَدُلُّ عَلى فَضْلِ العِلمِ وَأهلِهِ مِن وُجوهٍ:

أَحدُها: استِشهادُهُم دُونَ غَيرِهِم مِنَ البَشرِ.

وَالثَّاني: اقْتِرانُ شَهادَتِهِم بِشَهادتِهِ.

وَالثالثُ: اقْتِرانُها بِشَهادةِ المَلائِكةِ.

وَالرَّابعُ: أَنَّ فِي ضِمْنِ هَذا تَزكيتَهُم وتَعْديلَهُم؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَستشهدُ مِن خَلْقِهِ إِلاَّ بِالعُدولِ...

الخامِسُ: أَنَّه وَصفَهُم بِكَوْنِهِم أُولِي العِلْمِ، وَهَذا يَدُلُّ عَلى اختِصَاصِهِم بِه، وَأَنَّهُم أَهلُهُ وأصحَابُهُ، ولَيسَ بِمُستعارٍ لَهُم.

السَّادسُ: أَنَّهُ سُبحانَهُ اسْتَشهَدَ بِنَفسِهِ، وهُو أَجَلُّ شاهِدٍ، ثُمَّ بِخِيارِ خَلْقِهِ وهُم مَلائِكَتُهُ، وَالعُلَماءُ مِن عِبادِهِ، ويَكفِيهم بهَذا فَضلاً وَشَرَفاً.

السَّابِعُ: أَنَّهُ استَشهَدَ بِهِم عَلى أَجَلِّ مَشْهودٍ بِهِ وأَعظَمِهِ وأَكبَرِهِ، وهُو شَهادةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، والعظيمُ القَدرِ إِنَّمَا يَستَشهِدُ عَلى الأمرِ العظيمِ أَكابِرَ الخَلْقِ وسَاداتِهِم.

الثَّامنُ: أَنَّهُ سُبحانَهُ جَعلَ شَهادَتَهُم حُجَّةً عَلى المُنكِرينَ، فَهُم بِمنزِلَةِ أدلَّتِهِ وَآياتِهِ وبَراهِينِهِ الدَّالةِ على تَوحيدِهِ.

التَّاسعُ: أَنَّهُ سُبحانَهُ أَفْردَ الفِعلَ المُتَضَمِّنَ لِهذِهِ الشَّهادةِ الصَّادِرةِ مِنهُ ومِن مَلائِكَتِهِ، ولَم يَعطِف شَهادَتَهم بِفِعلٍ آخرَ غَيرِ شَهادتِهِ، وَهذا يَدُلُّ عَلى شِدَّةِ ارتِباطِ شَهادَتِهِم بِشهادَتِهِ، فَكأَنَّهُ سُبحانَهُ شَهِدَ لِنَفسِهِ بالتَّوحيدِ عَلى أَلسِنَتِهِم، وَأَنطَقَهُم بِهذهِ الشَّهادةِ، فَكانَ هُو الشَّاهِدُ بِها لِنَفسِهِ إِقامةً وإِنطاقاً وتَعْليماً، وهُمُ الشَّاهِدونَ بِها لَهُ إِقراراً واعْتِرافاً وتَصديقاً وإِيماناً.

العاشِرُ: أَنَّهُ سُبحانَهُ جَعَلَهُم مُؤَدِّينَ لِحَقِّهِ عِندَ عِبادِهِ بهذِهِ الشَّهادةِ، فَإِذا أَدَّوْها فَقد أَدَّوُا الحقَّ المَشهودَ بِهِ، فَثَبَتَ الحَقُّ المَشْهودُ بِهِ، فَوَجَبَ عَلى الخَلْقِ الإِقرارُ بِهِ، وكانَ ذلكَ غَايةَ سَعادَتِهِم فِي مَعاشِهِم ومَعادِهِم. وكُلُّ مَن نَالَهُ الهُدى بِشَهادَتِهِم وَأَقرَّ بِهذا الحَقِّ بِسببِ شَهادتِهِم، فَلَهُم مِنَ الأجرِ مِثلُ أَجرِهِ، وهَذا فَضلٌ عَظيمٌ لا يَدري قَدْرَهُ إِلاَّ اللهُ، وكَذلكَ كُلُّ مَن شَهِدَ بِها على شَهادتِهِم فَلَهُم مِنَ الأجرِ مِثلُ أَجْرِهِ أَيضاً.

فَهذهِ عَشْرَةُ أَوجُهٍ فِي هَذهِ الآيةِ)[1] انتَهى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

- وَمِنْ خِصَالِهِم أَيضاً: أَنَّهم يَعقِلُونَ مِن مُرادِ اللهِ مَا لا يَعقِلُهُ غَيرُهُم، كَما قالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ} [سورة الروم: 43]، {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا } [سورة آل عمران: 7]، {لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } [سورة النساء: 162]، {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [سورة الحج: 54]، {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} [سورة سبأ: 6]، {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ} [سورة العنكبوت: 49].

- وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِطاعَتِهِم، كَما قالَ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [سورة النساء: 59].

قالَ شيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (أُولو الأَمرِ: أَصحابُ الأمرِ ودَووهُ، وهُمُ الذينَ يَأمرونَ النَّاسَ، وذلكَ يَشْتَرِكُ فيهِ أَهلُ اليَدِ والقُدرَةِ، وأَهلُ العِلمِ والكَلامِ، فَلِهذا كانَ أُولُو الأَمرِ صِنفَينِ: العُلماءُ والأُمراءُ، فَإِذا صَلَحوا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذا فَسَدُوا فَسَدَ النَّاسُ).

- وَمِنْ خِصَالِهِم: أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَفى التَّسْوِيةَ بَينَ أَهْلِهِ وغَيرِهِم، كَما قالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [سورة الزمر: 9].

([1]) مفتاح دار السعادة.

قالَ الشيخُ عبدُالرحمنِ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عِندَ هَذِهِ الآيةِ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }: (يَعلَمُونَ رَبَّهُم، ويَعلمونَ دِينَهُ الشَّرعِيَّ ودِينَهُ الجَزائِيَّ، ومَا لَهُ فِي ذلكَ مِنَ الأَسرارِ والحِكَمِ، {وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} شَيئاً مِن ذلكَ!؟

لاَ يَستوِي هَؤلاءِ وَلا هَؤلاءِ، كَما لا يَستوِي اللَّيلُ والنَّهارُ، والضِّياءُ والظَّلامُ، والمَاءُ والنَّارُ) اهـ.

فَنسأَلكَ اللَّهُمَّ بِأَسمائِكَ الحُسنَى وَصِفاتِكَ العُلَى أَن تَحفظَ عُلماءَ السُّنَّةِ فِي كُلِّ مَكانٍ، اللَّهُمَّ ارفَعْ دَرجتَهُمْ، وَأَعْلِ مَكانتَهُم.

اللَّهُمَّ وَفِّق وُلاةَ أَمرِنا إلى كُلِّ خَيرٍ، وَارزُقهُم البِطانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ.